

أَيُّهَا الْأَخُوَّةُ الْأَعْرَاءُ!

إِنَّ تَسْلِيمَ النَّفْسِ وَالْفِكْرِ وَالْإِرَادَةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَمِنْ أَمِّمْ مُمَيِّزَاتِ الْمُسْلِمِ. فَإِنَّ مَعْيَارَ التَّفَرُّقَةِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالصَّوَابِ وَالخَطَأِ، وَالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ، وَالطَّاعَةِ وَالْعِصْيَانِ، هُوَ الْوَحْيُ وَحْدَهُ. نَعَمْ، لَيْسَ فِي الْبَشَرِ مَنْ هُوَ مَعْصُومٌ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْمَعْصِيَةِ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وَإِنَّ الْإِنْسَانَ بِطَبْعِهِ مَيَّالٌ إِلَى الْخَطَأِ. لَكِنَّ الْمُؤْمِنَ هُوَ الَّذِي لَا يُصِرُّ عَلَى ذَنْبٍ وَقَعَ فِيهِ، وَكَذَلِكَ لَا يُبِرُّ مَعْصِيَتَهُ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ. وَبِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ، سَرَعَانَ مَا يَتُوبُ الْمُؤْمِنُ إِلَى رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَيَعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ وَيُصَوِّبُ خَطَأَهُ. وَلَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ نَبِيَانِهِ عَنْ حَالِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَسْلِمِينَ لَهُ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْهُمْ وَقَالَ: ﴿وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ وَلَا الْمُؤْمِنَةِ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾¹

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ!

فِي عَصْرِ يَتَحَمَّنًا فِيهِ شَتَّى أَنْوَاعِ الْأَفْكَارِ وَالْفَلْسَفَاتِ الْمُرْتَبِفَةِ، يَتَأَكَّدُ عَلَيْنَا وَجُوبُ مُرَاجَعَةِ أَنْفُسِنَا وَحَيَاتِنَا. وَلِنَفْحَصِ أَنْفُسِنَا وَنَحْذَرُ مِصْدَاقَ تِلْكَ الْمَقُولَةِ "إِنْ لَمْ تَعِشْ كَمَا تَعْتَقِدُ، إِنْ لَمْ تَعِشْ كَمَا تَعِيشُ، وَلِنَسْأَلِ أَنْفُسِنَا "هَلْ أَعِيشُ وَفَقًا لِمَا أَعْتَقِدُ؟ أَمْ أَحَدْتُ أَنْسُجَ اعْتِقَادِي وَفَقًا لِمَا تُمَلِّئُهُ عَلَيَّ طَرِيقَةُ حَيَاتِي؟". إِذِ الْوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُقِيمَ سُلُوكَنَا وَفَقَ اعْتِقَادِنَا، لَا أَنْ نُحَوِّرَ اعْتِقَادَاتِنَا لِنَتَسَجَّمَ مَعَ نَمَطِ الْحَيَاةِ الَّتِي نَعِيشُهَا. وَيَنْطَبِقُ هَذَا عَلَى كُلِّ جَوَانِبِ حَيَاتِنَا مِنْ عِبَادَاتٍ، وَعَلَاقَاتٍ أُسْرِيَّةٍ، وَحَيَاةِ الْعَمَلِ، وَتِجَارَاتٍ، وَمَلْبَسٍ، وَمَأْكَلٍ، وَاسْتِخْدَامِنَا لِلْإِنْتَرْنَتِ وَمَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الْإِجْتِمَاعِيِّ.

وَإِنْ صَارَتْ حَيَاتُنَا أَسِيرَةَ أَهْوَانِنَا - وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ - بَدَلًا مِنْ أَنْ تَخْضَعَ لِأَوْامِرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلِنَذْكُرْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾² وَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عِثَابًا ط فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ط أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾³

أَيُّهَا الْأَخُوَّةُ الْكِرَامُ!

لَقَدْ عَلَّمَنَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ﷺ بِمَنْ هُوَ الذَّكِيُّ الْفَطْنُ فَقَالَ: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ»⁴ دَانَ النَّفْسُ - يَعْنِي: حَاسَبَهَا. وَلَكِنْ لَيْسَتْ غَايَةُ هَذِهِ الْمُحَاسَبَةِ مُجَرَّدَ الْإِنْقِيَادِ لِأَوْامِرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. بَلْ يَنْبَغِي لَنَا فَوْقَ ذَلِكَ أَنْ نَرْفِيَ بِأَنْفُسِنَا إِلَى مَقَامٍ نُنْقَادُ فِيهِ لِلَّهِ تَعَالَى وَنَلْتَزِمُ أَوْامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ طَوَاعِيَةً وَمَحَبَّةً لَهُ سُبْحَانَهُ. وَقَدْ رَبَطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِكْتِمَالَ الْإِيمَانِ بِذَلِكَ فَقَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»⁵

أَسْأَلُ الْمُؤَلَّى عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَحْفَظَنَا مِنْ أَنْ نَفْعَ أُسَارَى لِأَنْفُسِنَا. وَيَرْفَعَنَا إِلَى مَقَامِ مَحَبَّتِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِتْيَانِ أَوْامِرِهِ طَوَاعِيَةً وَحُبًّا. إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. آمِينَ



⁴ سنن الترمذي، باب صفة القيامة، رقم الحديث (٢٤٥٩)

⁵ كتاب الحجَّة، انظر: الأربعين النووية، رقم الحديث (٤١)

¹ سورة الأجزاء: ٣٦

² سورة القصص: ٥٠

³ سورة الجاثية: ٢٣